بسلم عليها فمنعه قومها واقبلت عليه امراة من قومه وقالت له ما لك تسال كانك جاهل او تتجاهل هذه لبنا ترحل الليلة او غد فسقط مغشيا عليه وهو لا يعقل ثم افاق وهو يقول شعر

وانى لمفنى دمع عيني بالبكا ... حذار الذي قد كان او هو كائن
وقالوا غدا او بعد ذاك بليلة ... فراق الذي تهوى وها هو بائن
وما كنت اخشى ان تكون منيتي ... بكفك الا ان ما حان حائن

وارتحلت لبنا واشتد حزنه فسال ابوه فتيات الحي ان يعودنه ويتحدثن عنده ويعللنه فاتينه وحدثن عنده وجاه طبيب يداويه فقال قيس

عند قيس من حب لبنى ولبنى ... داء قيس والحب داء شديد
فاذا عادني العوائد يوما ... قالت العين لا ارى من اريد
ليت لبنا تعودني ثم اقضي ... انها لا تعود فيمن تعود
ويح قيس لقد تضمن منها ... داخل في الفؤاد منه عميد

فقال له الطبيب مذ كم وجدت هذه العلة بهذه المراة فقال

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا فاصبح ناميا ... وليس اذا متنا بمنتقض العهد
ولكنه باق على كل حالة ... وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

ومن شعره رحمه الله تعالى

وفي عروة العذري ان مت اسوة ... وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند
وفي مثل ما مات به غير انني ... الى اجل لم ياتني وقته بعد
هل الحب الا عبرة ثم زفرة ... وحر على الاحشاء ليس له برد
وفيض دموع تستهل اذا بدا ... علم لنا من ارضكم لم يكن يبدو

وشكى ابو لبنا قيسا الى معاوية يعلمه بتعرضه لها بعد الطلاق فكتب الى مروان بن الحكم بهدر دمه وامر اباها ان يزوجها بخالد بن حلزة من بني غطفان فلما علم قيس جزع جزعا شديدا وقال رحمه الله تعالى

فان تحجبوها او يحل من دونها ... حفاظ الوشاة او وعيد امير
فلم يمنعوا عيني من دائم البكا ... ولن يذهبوا ما قد اجن ضميري
وكنا جميعا قبل ان يظهر الهوى ... بانعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة لظهور
لقد كنت حب النفس لو دام وصلنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور

ولم يزل تارة يتوصل الى زيارتها بالحيلة عليها وتارة تزوره وهو نازل على قوم الى ان ماتت لبنا فتزايد وله وجزعه وخرج في جماعة من قومه الى ان وقف على قبرها وقال من شعره رحمه الله

ماتت لبنا فموتها موتي ... هل تنفعن حسرة على الفوت
فسوف ابكي بكاء مكتئب ... قضى حياة وجدا على ميت

ثم اكب على القبر يبكي حتى اغمي عليه فرفعه اهله الى منزله وهو لا يعقل ولم يزل عليلا لا يفيق ولا يجيب متكلما حتى مات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وكانت وفاتهما في حدود الستين من الهجرة رحمهما الله

قيس بن الملوح بن مزاحم

ابن قيس هو مجنون بني عامر قال صاحب الاغاني لم يكن مجنونا وانما كانت به لوثة مثل ابي حية النميري وكان يهوى ليلى ابنة ... وكان من اجمل الفتيان ... يقال لها ... وعندها جماعة من النسوان ... فنزل ... فلما رايته اقبل عليه ... المجنون

فغضب

فغضب وقام من عندهن وهو يقول

الا عتر من اهل الكريمة ناقتي ... ووصلي مقرون بوصل المنازل
اذا جئتها قد اجفلت من لدنهن وهي ولم اكن ... اذا جئت ارضى صوت تلك الخلاخل
متى ما انتضلنا بالسهام نضلنه ... وان يوم رشقا عندها فهو ناضل

ولما اصبح لبس حلته وركب ناقة اخرى ومضى متعرضا لهن فراى ليلى قاعدة بفناء بيتها وكان قد علق قلبه بحبها وعندها جويرات يتحدثن معها فوقف المجنون وسلم عليهن فدعونه الى النزول وقلن له هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيرها فقال ابو لعمري ونزل وعقر ناقته فارادت ليلى ان تعلم هل لها عنده مثل ما له عندها فجعلت تعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدث غيره وكان قد شغفته بحبها واستملحتها فبينما هي اذا اقبل فتى من الحي فدعته ليلى وسارته سرا ثم قالت له انصرف ونظرت الى وجه المجنون وقد تغير وانتقع لونه فقالت

كلانا مظهر للناس بغضا ... وكل عند صاحبه مكين
تبلغنا العيون بما اردنا ... وفي القلبين ثم هوى دفين

فلما سمع البيتين شهق واغمي عليه فنضحوا الماء على وجهه فافاق بعد ساعة وقد تمكن كل منهما من قلب الاخر وانصرف وقد اصاب المجنون لوثة ولم يزل في جنبات الحي منفردا عاريا ولم يتكلم الا ان يذكر والد ليلى فيثوب اليه عقله فلما تولى الصدقات عليهم نوفل ابن مساحق راى المجنون يلعب بالتراب عريانا فسال عنه فاخبرته بخبره وحكوا له ما هو فيه فاراد ان يكلمه فقالوا له ما يكلمك الا ان ذكرت له ليلى وحديثها فاقبل عليه فذكرها له فثاب اليه عقله واقبل يحدثه بحديثه وينشده شعره فيها فقال له اتحب ان ازوجكها قال نعم وكيف لي بذلك فدعى له بثياب فالبسه اياها وراح معه كاصح ما يكون يحدثه وينشده فبلغ ذلك رهط ليلى فتلقوه بالسلاح وقالوا لا والله يا ابن مساحق لا يدخل المجنون منازلنا وقد اهدر السلطان دمه فاقبل بهم وادبر فابوا فقال للمجنون ان الرجوع اهون من سفك الدما فانصرف وهو يقول

ابا وجع من ليس يجلس عقله ... فاصبح منه هو بائه كل مذهب
خليا من الخلان الا معذرا ... يضاحكني من كان يلهو ويحرى
اذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت ... روائع عقلي من هوى متشعب
وقالوا صحيح ما به طيف جنة ... ولا الهم الا بافتراء التكذب
تجنب ليلى ان يلج بك الهوى ... وهيهات كان الحب قبل التجنب
الا انما غادرت يا ام مالك ... صدى اينما تذهب به الريح يذهب

ثم ان المجنون واهله وعشيرته اجتمعوا على ابي ليلى ووعظوه وناشدوه الرحم وقالوا ان هذا الرجل هالك وقد حكمناك في المهر فابى وحلف بالطلاق انه لا يزوجها به ابدا وقال يا قوم افضح نفسي وعشيرتي فانصرفوا عنه وزوجها رجلا من قومه وبنا بها في تلك الليلة فيئس المجنون وزال عقله جملة فقالوا لابيه احجج به وادع الله له فلعل الله ان يخلصه فحج به فلما كان بمنى سمع صارخا بالليل يصيح يا ليلى فصرخ صرخة كادت نفسه تزهق منها ووقع مغشيا عليه ولم يزل كذلك حتى اصبح وافاق وهو حائل عرضت على قلبي العزاء فقال لي ... من الان فايئس لا اعزك من صبر
اذا بان من تهوى وصار بائنا ... فلا شيء اجدى من حلولك في القبر
وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى ... فهيج احزان الفؤاد وما يدري
دعى باسم ليلى غيرها فكانما ... اطار بليلى طائرا كان في صدري
دعى باسم ليلى ضلل الله سعيه ... وليلى بارض عنه نازحة قفر

قال الشيباني مر المجنون يوما في زوج ليلى وهو جالس يصطلي في يوم بارد فوقف

قوزل نوفل

١٧٤

Copyright ... University